

البرهان في علوم القرآن

الثالث .

تغليب العاقل على غير .

بأن يتقدم لفظ يعم من يعقل ومن لا يعقل فيطلق اللفظ المختص بالعاقل على الجميع كما تقول خلق الله الناس والأنعام ورزقهم فإن لفظ هم مختص بالعقلاء ومنه قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء 1 لما تقدم لفظ الدابة والمراد بها عموم من يعقل ومن لا يعقل غلب من يعقل فقال فمنهم من يمشي 1 .

فإن قيل هذا صحيح في فمنهم لأنه لمن يعقل وهو راجع إلى الجميع فلم قال من وهو لا يقع على العام بل خاص بالعاقل .

قلت من هنا بعض هم وهو ضمير من يعقل .

فإن قلت فكيف يقع على بعضه لفظ ما لا يعقل .

قلت من هنا قال أبو عثمان إنه تغليب من غير عموم لفظ متقدم فهو بمنزله من يقول رأيت ثلاثة زيدا وعمرا وحمارا .

وقال ابن الصائغ هم لا تقع إلا على من يعقل فلما أعاد الضمير على كل دابة غلب من يعقل فقال هم و من بعض هذا الضمير وهو للعاقل فلزم أن يقول من فلما قال بوقوع التغليب في الضمير صار ما يقع عليه حكمه حكم العاقلين فتم ذلك بأن أوقع من .

وقوله تعالى حاكيا عن السماء والأرض قالتا أتينا طائعين 2 إنما جمعهما جمع